



الفكر الأصولي عند الإمام أبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ)
دراسة تحليلية

إعداد

بلال بركات سليمان سلهب

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في معارف الوحي والتراث

قسم الفقه وأصول الفقه

كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

ابريل ٢٠١٨م

ملخص البحث

تُعنى هذه الأطروحة بجانب مهمٍّ ومغمورٍ في الوقت نفسه من التراث العلمي والفكري لأبي الحسن الأشعري (٢٦٠-٣٢٤هـ / ٨٧٤-٩٣٦م)، وهو الجانب المتعلق بموضوعات أصول الفقه، فلا نكاد نملك رؤيةً علميةً متكاملةً عن العناصر المعرفية والمنهجية التي تشكل فكره التشريعي بخصوص الأحكام الشرعية ومداركها، والأدلة وطرق استفادة الأحكام منها، وعلاقة الأدلة بعضها ببعض، بحيث يمكن أن نصف تلك الرؤية بأنها تمثل الفكر الأصولي للأشعري بوصفه نسقًا علميًا متكاملًا. ويرجع ذلك إلى أن آراء الأشعري في مسائل أصول الفقه لم تُدرس في ذاتها أصالةً واستقلالاً، وإنما تم تناولها غالبًا إما بوصفها مجرد نواحي في الدرس الكلامي، أو في إطار دراسة الفكر الأصولي في مراحلها المتأخرة عند الباقلاني والقاضي عبد الجبار والجويني وأمثالهم. وبالتالي ليست هناك أية دراسة مستقلة جامعة تبرز بين الاستقصاء والعرض للآراء الأصولية للأشعري وتحليلها وتركيبها من أجل الوصول إلى صورة كلية للجوانب المختلفة لفكره الأصولي باعتباره بُنيةً متكاملة العناصر متسقة البناء. وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة بشكل أساسي على المنهج الاستقرائي، وذلك في تتبع وجمع واستقصاء الآراء والأقوال الأصولية للأشعري من مظانها معتمدًا ابتداءً على ما توفر بين أيدينا من مصنفات للأشعري، ثم الأقرب فالأقرب إليه. كما استخدم منهجية مزدوجة من التحليل والتركيب فرزًا وتفكيكًا للمسائل والآراء الأصولية التي ينطوي عليها فكر الأشعري وتفسيرها وتعليلها وتقويمها في صورة موضوعية ثم إعادة تركيبها في سياق الواقع والبيئة العلمية التي قيلت فيها، وفي ضوء الأصول المعرفية والمنهجية الكلية التي ارتضاها الأشعري لنفسه. ومن خلال ذلك تهيأ لنا الوقوف على الخصائص العامة للفكر الأصولي عند الأشعري. وقد خلص الباحث من خلال ذلك إلى جملة من النتائج أهمها: تأثر أصول فقه الأشعري بعلم الكلام بصورة واضحة، وأن الأشعري صاحب منهج مستقل في الاجتهاد في أصول الفقه. كما توصل البحث إلى أنه فضلًا عن تمييز الأشعري في الاجتهاد بين الأصول والفروع تمييزًا واضحًا، فإن هناك مسائل أصولية توقف فيها ولم يقطع فيها برأي.

ABSTRACT

This thesis is concerned with an important, yet understudied, aspect of Abū Ḥasan al-Ash‘arī’s (260-324 H./874-936 C.E.) intellectual and scholarly legacy, namely the aspect relating to subjects of Islamic legal theory (*uṣūl al-fiqh*). Hardly do we have a systematic and comprehensive view of the epistemological and methodological components constituting his jurisprudential thought in respect of the Sharī‘ah rulings and their grounds, legal proofs and the methods of derivation of rulings there-from, and the relationship among the proof sources (*adillah*) of the Sharī‘ah. We do not possess such a way as would allow us to consider it representative of al-Ash‘arī’s legal thought as an integrated system. The reason for that is that al-Ash‘arī’s views on matters of Islamic legal theory have not been studied on their own independently, but rather were mostly invoked either as merely secondary issues in the study of theological subjects, or dealt with in the framework of studies on *uṣūlī* thought in its later stages as reflected in the works of al-Bāqillānī, Qāḍī ‘Abd al-Jabbār, al-Juwaynī, and their likes. Likewise, there is no comprehensive independent study combining thoroughness in presenting al-Ash‘arī’s *uṣūlī* opinions with analysis and restructuring so as to arrive at an integrated picture of the different components of his *uṣūlī* thought, which can be seen as a coherent structure. In this study, the researcher relied primarily upon an inductive methodology to explore, collect, and thoroughly investigate al-Ash‘arī’s *uṣūlī* opinions and sayings from their most probable sources, initially relying upon what is available of al-Ash‘arī’s writings, and then whatever is closest. Then the researcher utilized an analytical methodology to analyze and break down al-Ash‘arī’s *uṣūlī* opinions, and then to study them and their premises before piecing them together in the context of the reality and scientific environment in which those opinions were voiced. Then they were evaluated in light of the *uṣūlī* methodology that al-Ash‘arī himself espoused, all in order to arrive at the general characteristics of *uṣūlī* thought according to al-Ash‘arī. The researcher concluded with a set of findings, most important of which are: al-Ash‘arī’s Uṣūl al-Fiqh was influenced by the science of Kalām, and al-Ash‘arī was a proponent of an independent methodology of *ijtihād* in Uṣūl al-Fiqh. Furthermore, al-Ash‘arī abstained from passing judgment in some *uṣūlī* questions, and he differentiated between fundamental and secondary elements in *ijtihād*.

APPROVAL PAGE

The dissertation of Belal B. S. Salhab has been approved by the following:

Mohamed EL-Tahir EL-Mesawi
Supervisor

Hossam El-Din El Saefy
Internal Examiner

Salih Kadir Al-Zinki
External Examiner

Ismail Hassani
External Examiner

Akram Khedher
Chairperson

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is the result of my own investigations, except where otherwise stated. I also declare that it has not been previously or concurrently submitted as a whole for any other degrees at IIUM or other institutions.

Belal B. S. Salhab

Signature:

Date:

الجامعة الإسلامية العالمية-ماليزيا

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠١٨م محفوظة ل: بلال بركات سليمان سلهب

الفكر الأصولي عند الإمام أبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ)

دراسة تحليلية

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

- ١- يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتابتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.
- ٢- يكون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ومكتبها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسساتية وتعليمية، ولكن ليس لأغراض البيع العام.
- ٣- يكون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكاتب الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.
- ٤- سيزود الباحث مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بعنوانه مع إعلامها عند تغيير العنوان.
- ٥- سيتم الاتصال بالباحث لغرض الحصول على موافقته على استنساخ هذا البحث غير المنشور للأفراد من خلال عنوانه البريدي أو الإلكتروني المتوفر في المكتبة. وإذا لم يجب الباحث خلال عشرة أسابيع من تاريخ الرسالة الموجهة إليه، ستقوم مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا باستخدام حقها في تزويد المطالبيين به.

أكد هذا الإقرار: بلال بركات سليمان سلهب

التوقيع:

التاريخ:

إلى روح إمام أهل السنّة والجماعة، أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري
إلى طلاب العلم، والباحثين في الفقه وأصوله
إلى أبي الحبيب، وأمي الغالية
إلى إخوتي وأخواتي
إلى أساتذتي وزملائي
إلى المسجد الأقصى الأسير وفلسطين الحبيبة
إليكم جميعًا أهدي هذه الرسالة

الشكر والتقدير

إن كان في هذا المقام من شكرٍ وثناءٍ وحمدٍ لأحد، فهو للواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد؛ إذ إنّه بما منّ وأنعم وتفضّل عليّ بإتمام كتابة هذه الرسالة والانتهاء منها الحقيقي بالحمد، فيا ربِّ لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد.

ولأنّ نبينا الأكرم ﷺ أمرنا بأداء الواجب لأهله، ومن باب الاعتراف بالفضل لأهل الفضل إذ إنّه "لا يَشْكُرُ اللهُ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ"، فإيّ لأتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى من شرفني الله ﷻ بإشرافه على هذه الرسالة، أستاذي وشيخي فضيلة الأستاذ الدكتور: محمد الطاهر الميساوي، الذي لم يأل جهداً في نصحه وإرشاده وتوجيهه حتى خرجت هذه الرسالة في أزهى صورة، وأبهى حُلّة، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وحقُّ عليّ في هذا المقام أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى مَنْ أكرمني الله ﷻ بصحبته، والنهل من علومهم، أساتذتي الكرام في كليّة معارف الوحي والعلوم الإنسانية، وأخصُّ منهم بالذكر أستاذي وشيخي الدكتور حسن بن إبراهيم هنداوي، الذي طال ما أتحفنا بشرحه لرسالة الإمام الشافعي فأناز بها بصائرنا، ووسّع مداركنا، فله ولجميع أساتذتي ومشايخي في كل مكان أسمى آيات الشكر والتقدير والعرفان.

ولا يفوتي كذلك أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ذلك الصرح العظيم، والمنارة الشامخة، التي أتاحت لي فرصة دراسة مرحلة الدكتوراة على مقاعدها، ووفرت لي كل ما أحتمه لإتمام هذا البحث العلمي فيها، فلكل عامل فيها كل تقدير واحترام.

وواجب عليّ في هذا المقام أن أتقدم بالشكر والتقدير والعرفان والاحترام إلى والدي العزيز الذي أعانني بكل ما يملك على مواصلة التعليم، ووالدي الحبيبة التي طال ما أظلتني

١ أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ج ١٣، ص ٣٢٢، ح ٧٩٣٩، وقد صحح المحققان إسناده.

سحائب دعواتها لي بالتوفيق والنجاح والسداد حتى لمست أثرها بما فتح الله عَلَيَّ في هذه الرسالة. وإلى إخوتي وأخواتي جميعاً الذين كانوا أكبر محفّز ومشجع لي على إتمام هذه المرحلة. إلى أهلي جميعاً الذين صبروا كثيراً على طول البُعد ولوعة الفراق كل محبّة وبرّ وتقدير واحترام. ولن أنسى في هذا المقام أصدقاء العلم والدراسة كلاً باسمه ولقبه، الذين كانوا خير عونٍ لي وسندٍ في الغربة بعد الله ﷻ، فلهم ولكل من وقف بجاني، ودعا لي، وأعانني على مواصلة درب العلم كل حبّ وتقدير واحترام.

فهرس محتويات البحث

ب.....	ملخص البحث
ج.....	ملخص البحث باللغة الانجليزية
د.....	صفحة القبول
ه.....	صفحة التصريح
و.....	صفحة الإقرار بحقوق الطبع
ز.....	الإهداء
ح.....	الشكر والتقدير

الفصل الأول: التمهيدي خطة البحث وهيكله العام..... ١

١.....	المقدمة
٣.....	مشكلة البحث:
٤.....	أسئلة البحث:
٤.....	أهداف البحث:
٥.....	أهمية البحث:
٦.....	منهج البحث:
٧.....	الدراسات السابقة:

الفصل الثاني: أبو الحسن الأشعري عند مترجميه، وسيرته الشخصية..... ١٩

١٩.....	المبحث الأول: أبو الحسن الأشعري عند مترجميه
	المطلب الأول: أبو الحسن الأشعري عند مترجميه إلى القرن الحادي عشر
١٩.....	الهجري
٢٨.....	المطلب الثاني: أبو الحسن الأشعري عند مترجميه في العصر الحديث

المبحث الثاني: سيرة أبي الحسن الأشعري	٣١
المطلب الأول: مولده.....	٣١
المطلب الثاني: اسم الأشعري وكنيته ولقبه ونسبه	٣٣
المطلب الثالث: معيشته ونفقته	٣٦
المطلب الرابع: شيوخه وتلاميذه.....	٣٧
المطلب الخامس: عقيدته، ومذهبه الفقهي والأصولي	٤٥
المطلب السادس: مكانته العلمية ومناظراته	٥٧
المطلب السابع: مصنفاته	٦١
المطلب الثامن: وفاة أبي الحسن الأشعري	٧١

الفصل الثالث: تعريف الفكر الأصولي، والعوامل التي أثرت في تكوينه عند أبي

الحسن الأشعري	٧٤
المبحث الأول: تعريف الفكر الأصولي	٧٤
المطلب الأول: تعريف الفكر الأصولي باعتباره مركباً.....	٧٤
المطلب الثاني: تعريف الفكر الأصولي باعتباره مصطلحاً واحداً.....	٧٦
المبحث الثاني: العوامل التي أثرت في تكوين الفكر الأصولي عند أبي الحسن الأشعري	٧٩
المطلب الأول: المعلم وأثره في التكوين الأصولي	٨٠
المطلب الثاني: الكتاب كأداة للعلم وطبيعة الدرس الأصولي في عصر الأشعري.....	١٠١
المطلب الثالث: مناهج التأليف الأصولي في عصر الأشعري	١١٨

الفصل الرابع: علم الكلام وعلاقته بعلم أصول الفقه عند أبي الحسن الأشعري

المبحث الأول: التعريف بعلم الكلام، وعلاقته بالفقه وأصوله	١٢٨
المطلب الأول: التعريف بعلم الكلام.....	١٢٨

- المطلب الثاني: علاقة علم الكلام بالفقه وأصوله ١٣٢
- المبحث الثاني: علم الكلام عند الأشعري، ومنهجه في البحث الكلامي ١٤٦
- المطلب الأول: علم الكلام عند الإمام الأشعري ١٤٦
- المطلب الثاني: منهج الأشعري في البحث الكلامي ١٤٩
- المبحث الثالث: أثر علم أصول الفقه في البحث الكلامي عند الأشعري ١٥٧
- المطلب الأول: أثر الجانب البنيوي الشكلي لعلم الأصول في علم الكلام عند الأشعري ١٥٧
- المطلب الثاني: موضوعات علم أصول الفقه وأثرها في علم الكلام عند الأشعري ١٦٧

الفصل الخامس: مقدمات عامة لمباحث أصول الفقه عند أبي الحسن الأشعري ١٨٤

- المبحث الأول: تعريف أصول الفقه، وحدُّ العلم وما يتصل به من مباحث في نظر الأشعري ١٨٧
- المطلب الأول: تعريف أصول الفقه في نظر أبي الحسن الأشعري ١٨٧
- المطلب الثاني: حدُّ العلم وأقسامه ومداركه وما يتعلق به في نظر الأشعري .. ١٨٩
- المبحث الثاني: الدليل والاستدلال وطرقه، ومعنى العقل ومكانته في نظر الأشعري ٢١٣
- المطلب الأول: معنى الدليل والاستدلال وطرقه في نظر الأشعري ٢١٣
- المطلب الثاني: معنى العقل ومكانته عند الأشعري ٢٢٢

الفصل السادس: مباحث الحكم الشرعي في الفكر الأصولي عند الأشعري ٢٢٥

- المبحث الأول: تعريف الحكم الشرعي، وأقسامه وما يتعلق به من مسائل عند الأشعري ٢٢٥
- المطلب الأول: تعريف الحكم الشرعي عند الأشعري وما يتصل به ٢٢٥

المطلب الثاني: أقسام الحكم التكليفي وما يتعلق به من مسائل عند	
الأشعري.....	٢٢٨
المبحث الثاني: الحاكم في الفكر الأصولي عند الأشعري.....	٢٣٥
مطلب في: الحسن والقبح عند الأشعري.....	٢٣٥
المبحث الثالث: المحكوم فيه وما يتعلق به من مسائل في الفكر الأصولي عند	
الأشعري.....	٢٣٩
المطلب الأول: مقتضى التكليف في نظر الأشعري.....	٢٣٩
المطلب الثاني: التكليف بما لا يُطاق في نظر الأشعري.....	٢٤١
المبحث الرابع: المحكوم عليه، أو المكلف وما يتعلق به من مسائل في الفكر	
الأصولي عند الأشعري.....	٢٤٨
المطلب الأول: شروط المكلف عند الأشعري، ونظرة في تكليف المجنون	
والساهي.....	٢٤٨
المطلب الثاني: مخاطبة الكفار بفروع الشريعة في نظر الأشعري.....	٢٥١
الفصل السابع: البيان في الفكر الأصولي عند الأشعري.....	٢٥٤
المبحث الأول: أصل اللغة، وأقسام الألفاظ وضوحًا وخفاءً في الفكر الأصولي	
عند الأشعري.....	٢٥٤
المطلب الأول: اللغة بين الوضع والاصطلاح في نظر الأشعري.....	٢٥٤
المطلب الثاني: أقسام الألفاظ من حيث الوضوح والخفاء في نظر	
الأشعري.....	٢٥٧
المبحث الثاني: الحقيقة والمجاز وما يتصل بهما من مسائل في الفكر الأصولي	
عند الأشعري.....	٢٦٢
المطلب الأول: مسألة الحقيقة الشرعية في نظر الأشعري.....	٢٦٢
المطلب الثاني: معنى الحقيقة والمجاز، وما يتعلق بهما من أحكام في نظر	
الأشعري.....	٢٦٦

المطلب الثالث: حقيقة الكلام في نظر الأشعري	٢٦٧
المبحث الثالث: الخاصّ والعامّ في الفكر الأصولي عند الأشعري	٢٧١
المطلب الأول: تعريف الخاص والعام	٢٧١
المطلب الثاني: صيغة العموم	٢٧٢
المطلب الثالث: تخصيص العموم في الفكر الأصولي للأشعري	٢٧٨
المبحث الرابع: الأوامر والنواهي في الفكر الأصولي عند الأشعري	٢٨٢
المطلب الأول: صيغ الأمر والنهي	٢٨٢
المطلب الثاني: دلالة صيغة الأمر على الوجوب	٢٨٤
المطلب الثالث: تكرار الفعل المأمور به وتعجيله	٢٨٥
المطلب الرابع: الأمر بالشيء هل يُعدُّ نهيًا عن ضده؟	٢٨٦
المطلب الخامس: العلو والاستعلاء في الأمر	٢٨٩
المبحث الخامس: المفهوم في الفكر الأصولي عند الأشعري	٢٩١
المبحث السادس: تأخير البيان في الفكر الأصولي عند الأشعري	٢٩٥
المطلب الأول: تأخير البيان عن وقت الحاجة	٢٩٥
المطلب الثاني: تأخير البيان عن وقت البيان إلى وقت الحاجة	٢٩٦

الفصل الثامن: أدلة الأحكام في الفكر الأصولي عند الأشعري، وخصائص فكره

الأصولي	٢٩٨
تمهيد	٢٩٨
المبحث الأول: القرآن الكريم في الفكر الأصولي عند الأشعري	٢٩٩
المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم	٢٩٩
المطلب الثاني: تفاضل القرآن وتفاضل ثوابه	٣٠٠
المبحث الثاني: مباحث السنّة في الفكر الأصولي عند الأشعري	٣٠٢
المطلب الأول: معنى السنّة عند الأشعري	٣٠٢
المطلب الثاني: أنواع الأخبار وأحكامها	٣٠٣

- المطلب الثالث: أفعال النبي ﷺ وتروكه ٣٠٨
- المبحث الثالث: الناسخ والمنسوخ في الفكر الأصولي عند الأشعري ٣١٠
- المطلب الأول: تعريف الناسخ والمنسوخ ٣١٠
- المطلب الثاني: نسخ القرآن بالسنة، ونسخ السنة بالقرآن في نظر الأشعري ٣١٢
- المطلب الثالث: ما يجري فيه النسخ في نظر الأشعري ٣١٤
- المبحث الرابع: الإجماع في الفكر الأصولي عند الأشعري ٣١٧
- المطلب الأول: أقسام الإجماع في الفكر الأصولي عند الأشعري ٣١٧
- المطلب الثاني: اشتراط انقراض العصر لانعقاد الإجماع ٣٢٠
- المطلب الثالث: إذا خالف شخص واحد الإجماع ٣٢١
- المطلب الرابع: طريق معرفة الإجماع ٣٢١
- المطلب الخامس: إحداث رأي ثالث بعد اختلاف عصر من العصور على رأيين ٣٢٢
- المطلب السادس: حجية الاتفاق بعد الاختلاف ٣٢٣
- المطلب السابع: استصحاب الإجماع في محل النزاع ٣٢٤
- المبحث الخامس: القياس والاجتهاد في الفكر الأصولي عند الأشعري ٣٢٦
- المطلب الأول: مباحث القياس في الفكر الأصولي عند الأشعري ٣٢٦
- المطلب الثاني: مباحث الاجتهاد والتقليد في الفكر الأصولي عند الأشعري ٣٣١
- المبحث السادس: خصائص الفكر الأصولي عند أبي الحسن الأشعري ٣٤٠
- المطلب الأول: الاستقلالية في الاجتهاد ٣٤٠
- المطلب الثاني: التأثير بعلم الكلام ٣٤٣
- المطلب الثالث: التوقف في بعض المسائل الأصولية ٣٤٦
- المطلب الرابع: التفريق في الاجتهاد بين الأصول والفروع ٣٤٧

٣٤٩	خاتمة
٣٤٩	النتائج التي توصل إليها الباحث
٣٦٦	التوصيات
٣٦٧	قائمة المصادر والمراجع

الفصل الأول التمهيدي خطة البحث وهيكله العام

المقدمة

الحمد لله الذي سخر لهذا الدين من الأئمة منارات للهدى، وخط لنا بمداد فكرهم نهجاً يُقتفى، وشيّد بأصولهم وقواعدهم صرحاً للعلم وبنى، والصلاة والسلام على النبي المجتبي، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثرهم وبهديهم اقتدى، وبعد:

فإن الإمام أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري علّم من أعلام نهاية القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع (٢٦٠هـ-٣٢٤هـ)، حيث إنه قد برع في العديد من العلوم كالفقه، والأصول، والحديث، والتفسير، واشتهر في درس علم الكلام ومسائل العقيدة، وحوّلها دارت كتبه الستة التي وصلت إلينا^١ من تراثه المترامي الأطراف. وكذلك فإن المدرسة الفكرية التي أرسى قواعدها أبو الحسن الأشعري والتي باتت تُعرف باسمه قد اشتهرت في درس علم الكلام ومسائل العقيدة، حتى إنه إذا ذكر اسم الأشعري انصرف الذهن إلى هذه المسائل، بل قد يظن البعض أنه لم يشتغل إلاّ بهذا الفرع من العلوم الإسلامية، ومن هنا فقد كان التركيز على دراسة تراث الأشعري منصباً على ما دوّنه من آراء في مسائل علم الكلام والعقيدة.

غير أن المتصفح لسيرة حياته وما وصلنا من بعض مؤلفاته وما نسب إليه من آراء عن طريق تلاميذه، أو ما كان محفوظاً منها في بطون الكتب في شتى المجالات، وما كُتب عنه من تراجم، يجد أنه العالم المتكلم الفقيه الأصولي المفسر، إلاّ أن عدم وصولنا إلى ما خطّه يمينه من تراثه العلمي في هذه المجالات حال دون تناوله بالبحث والدراسة فيما سوى علم الكلام الذي اشتهر به.

^١ وهذه الكتب الستة هي: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، رسالة إلى أهل الثغر، رسالة استحسان الخوض في علم الكلام، الإبانة عن أصول الديانة، رسالة في الإيمان.

إن عدم اطلاعنا على إرث الأشعري المباشر في علوم الفقه والأصول والتفسير والحديث لا يعني عدم القدرة على الكشف عن مجمل آرائه في هذه العلوم ومعرفة منهجه وطريقته في تناولها، ولا يحول دون إظهار الملامح الكبرى والسّمات العامة لفكره فيها؛ إذ إن ما وصل إلينا من كتبه، وما دونه تلامذته وأتباع منهجه من بعده فيه من المادة العلمية ما يمكننا من الوقوف على المفاصل الأساسية والقضايا الكبرى لفكره في هذه العلوم، وإن لم يكن بالشكل الذي يوصلنا إلى معارف تفصيلية عن حقيقة فكره فيها كما لو أن جميع كتبه في هذه العلوم قد وصلت إلينا. حيث إن الكتب الستة التي وصلتنا من تراثه المترامي الأطراف يصعب علينا أن نعتمدها أصولاً لعقيدته التي اشتهر بها، فكيف بنا أن نعتمدها أصولاً لباقي العلوم التي لم يصلنا من مصنفاته فيها شيء؟!^٢

وقد ذكر أبو بكر بن فورك في كتابه "مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري" أنّ الأشعري سار في أصول الفقه على نسق الإمام الشافعي، حيث قال: "وكان يذهب في أغلب مسائل أصول الفقه إلى ما ذهب إليه الشافعي في كتاب الرسالة في أحكام القرآن"^٣. ومع ذلك تفترض هذه الدراسة أن شهرة الأشعري واهتمامه بعلم الكلام كان لهما أثر كبير من حيث حصول علاقة عضوية بين هذا العلم وعلم أصول الفقه، أدت إلى تكوّن منهجية مستقلة في التفكير التشريعي عنده في مقابل المنهجية الفكرية الاعتزالية التي خرج عنها، مهما كان من توافقها أو تخالفها مع المنهجية الأصولية التي أرسى قواعدها الكبرى الإمام الشافعي. وهذا الافتراض يعززه أنّ "حياة الإمام الأشعري [كانت] بين قرنين كلاهما يؤسس لأصول الاجتهاد، وكلاهما يؤرخ لأزمة الاجتهاد"^٣.

ولذا فالدارس لتراث الأشعري في أيّ من هذه العلوم بما في ذلك علم أصول الفقه الذي عليه مدار بحثنا، لا بد أن يكون واضحاً لديه أنه مهما حاول السعي للقطع بمنهج الأشعري وفكره فيما يتناول من مسائل وموضوعات، فإنه لن يعدّ الملامح العامة والأصول

^٢ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، تحقيق دانيال جيماريه (بيروت: دار المشرق، د.ط، ١٩٨٧م)، ص ١٩٣.

^٣ محمد كمال إمام، "المنهجية الأصولية عند الإمام أبي الحسن الأشعري: عرض وتحليل"، مجلة التجديد، (المجلد الرابع عشر، العدد الثامن والعشرون، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ص ٧٨.

الكلية لفكر هذا العَلم الكبير، حيث "إن ما وصل إلينا مما نُسب للأشعري من مصنفات عديدة تتناول -كما يلوح من عناوينها- موضوعات متعددة، وقضايا متنوعة قليل جداً؛ إنه يغدو من غير اليسير التعويل عليه لاستخلاص صورة نهائية وإصدار أحكام قاطعة بشأن فكره وموقفه ومنهجه. ومهما أمكن اللجوء لتدراك النقص وسد الفراغ الناجمين عن ذلك، إلى تتبع ما نُقل عنه من أقوال، وإلى حمل كلامه في تأليفه الموجودة على ما تسمح به من محامل التأويل، فإن ذلك لن يعدوَ كونَه وجهاً في التقريب لا يبلغ الجزم واليقين^٤". وحسبنا في بيان فكره ومنهجه في أصول الفقه ما قرره الفقهاء من أنه ما لا يُدرك كُله لا يُترك جُلُه، والميسور لا يسقط بالمعسور. أما إذا أردنا صياغة آراء الأشعري الأصولية على حسب تطوره الفكري فهذا أمر صعب كما يقول محمد كمال إمام: "والرأي عندي أن صياغة آراء الأشعري، وإعادة ترتيبها وفق تطوره الفكري تعد أمرًا بالغ الصعوبة إن لم يكن مستحيلًا، ومن بينها بالطبع آراؤه في علم أصول الفقه^٥".

مشكلة البحث:

على الرغم من المكانة التي يحتلها أبو الحسن الأشعري في سياق تطور الفكر الكلامي والتشريعي الإسلامي، إلا أننا لا نملك رؤية علمية متكاملة عن العناصر المعرفية والمنهجية التي تشكل فكره التشريعي بخصوص الأحكام الشرعية ومداركها، والأدلة وطرق استفادة الأحكام منها، وعلاقة الأدلة بعضها ببعض، وما إلى ذلك من عناصر البحث الأصولي، بحيث يمكن أن تصف تلك الرؤية بأنها تمثل الفكر الأصولي للأشعري بوصفه نسقاً علمياً متكاملًا. وسبب ذلك أن آراء الأشعري في مسائل أصول الفقه لم تُدرس في ذاتها أصالة واستقلالاً، وإنما تم تناولها غالباً إما في سياق بحوث كلامية، أو في إطار دراسات للفكر الأصولي في مراحلها المتأخرة عند الباقلاني والقاضي عبد الجبار والجويني وأمثالهم، والتي جرى فيها تطوير أفكاره، وتأويل مواقفه، والتفريع على مسائله، والأخذ بلازم قوله.

^٤ محمد الطاهر الميساوي، "إسهام الأشعري في إرساء قواعد الحوار وتأسيس منهجية المراجعة والتقييم: عرض وتأصيل"، إسلامية المعرفة، السنة السادسة عشرة، العدد ٦٤، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، ص ٥٥.
^٥ إمام، "المنهجية الأصولية عند الإمام أبي الحسن الأشعري: عرض وتحليل"، ص ٨٢.

وكذلك فإنه لا توجد دراسة مستقلة تمزج بين الاستقصاء والعرض للآراء الأصولية للأشعري وتحليلها وتركيبها من أجل الوصول إلى صورة متكاملة متسقة الجوانب للفكر الأصولي عنده بوصفه نظاماً متكامل العناصر متسق البناء. وهذا ما ستعمل هذه الدراسة على تحقيقه قدر الإمكان.

هذا بالإضافة إلى العديد من الآراء والمسائل الأصولية التي اختلف النقل فيها عن الأشعري، والتي لم يجر تحقيق نسبتها إليه، ولا معرفة الرأي الراجح عنده فيها، كمسألة صيغة العموم، والتكليف بما لا يطاق، ومفهوم المخالفة، والتقليد في أصول الدين، والتصويب والتخطة في الاجتهاد، وغيرها من المسائل.

أسئلة البحث:

من خلال ما تم عرضه في مشكلة البحث، سيعمل الباحث على الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. كيف تناول المترجمون سيرة أبي الحسن الأشعري في تراجمهم؟ وما هي تفاصيل

سيرته الشخصية؟

٢. ما المقصود بالفكر الأصولي؟ وما العوامل التي أثرت في تكوينه عند أبي الحسن

الأشعري؟

٣. ما نوع العلاقة بين علم الكلام وعلم أصول الفقه؟ وكيف أثر كل منهما في

الآخر عند أبي الحسن الأشعري؟

٤. ما المقدمات التي صدر بها الأشعري المباحث الأصولية؟

٥. ما مباحث الحكم الشرعي في فكر الأشعري الأصولي؟

٦. ما مباحث البيان في فكر الأشعري الأصولي؟

٧. ما أدلة الأحكام في فكر الأشعري الأصولي؟ وما خصائص فكره الأصولي؟

أهداف البحث:

يتطلع الباحث من خلال هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. توضيح كيفية تناول المترجمين لسيرة الأشعري في كتبهم التراجمية، وتحقيق تفاصيل سيرة أبي الحسن الأشعري الشخصية.
٢. بيان المقصود بالفكر الأصولي، وتحليل العوامل التي أثرت في تكوينه عند أبي الحسن الأشعري.
٣. تحديد نوع العلاقة بين علم الكلام وعلم أصول الفقه، وبيان أثر كل منهما في الآخر عند أبي الحسن الأشعري.
٤. إظهار المقدمات العامة التي صدر بها الأشعري المباحث الأصولية ودراستها في ضوء فكره الأصولي.
٥. عرض مباحث الحكم الشرعي عند الأشعري وتحليلها وتركيبها ومناقشتها في إطار فكره الأصولي.
٦. الوقوف على مباحث البيان في الفكر الأصولي للأشعري، وتناولها بالبحث والتحليل والتركيب والمناقشة.
٧. بيان أدلة الأحكام في الفكر الأصولي عند أبي الحسن الأشعري وتحليلها وتركيبها ومناقشتها. وإظهار أبرز خصائص فكره الأصولي.

أهمية البحث:

تظهر أهمية هذا البحث من خلال النقاط التالية:

١. إن آراء الأشعري الأصولية تُظهر أهم التطورات التي حصلت على المباحث الأصولية بعد الإمام الشافعي.
٢. إنّ دراسة الفكر الأصولي عند أبي الحسن الأشعري توثق المراحل الأولى للالتقاء بين علم الكلام وعلم أصول الفقه، وتؤسس لمنهجية جديدة في تناول المباحث الأصولية.

٣. إن آراء الأشعري الأصولية تُعتبر المعيار الذي به تقاس توجهات تلاميذه وأتباع مذهبه من بعده، وتُعرف به مدى موافقتهم ومخالفتهم له، وبذلك يسهل رصد أهم التطورات التي حصلت في أصول الفقه في المنظومة الأشعرية.
٤. إن آراء الأشعري الأصولية تُعبّر عن واقع الاجتهاد وحال المذاهب الفقهية والأصولية في عصره، لاسيما أنّه قد عاش في قرنين كلاهما يؤسس لأصول الاجتهاد، وكلاهما يؤرخ لأزمة الاجتهاد.

منهج البحث:

اعتمد الباحث في هذا البحث على المناهج التالية؛ ليصل من خلالها إلى النتيجة التي يرنو إليها:

١. **المنهج الاستقرائي:** وذلك في تتبع وجمع واستقصاء الآراء والأقوال الأصولية للأشعري من مظانها، وذلك على عدة مستويات، كان الأول منها عن طريق ما وصلنا من كتبه في علم الكلام مستفيداً من العلاقة العضوية بين العالَمين، أما المستوى الثاني فقد كان من خلال ما وردنا من كتابات تجمع آراء الأشعري ككتاب "مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري" لابن فُورك، وفي المستوى الثالث قام الباحث بجمع ما تفرق من آراء أبي الحسن الأشعري من ثنايا كتب الأصول المختلفة التي جاء فيها نسب بعض الأقوال إليه، وأخيراً جمع الباحث ما نُسب إلى الأشعري من أقوال أصولية في كتب التراجم التي ترجمت له، ليصل من خلال هذه المستويات إلى أقصى ما يمكنه جمعه من أقواله وآرائه الأصولية بحيث لا يدع شاردة ولا واردة منها إلا وصل إليها ودوّنها؛ ليتكمن من بناء قاعدة يسخلص منها فكره ومنهجه في أصول الفقه.

٢. **المنهج التحليلي:** والذي من خلاله تتوضح الملامح العامة لهذه الدراسة، إذ إنّ الباحث بعد استعراض ووصف الآراء الأصولية للأشعري، وتصنيفها على حسب

الترتيب المعهود للمباحث الأصولية في كتب أصول الفقه اعتمد على هذا المنهج في تحليل وتفكيك الآراء الأصولية للأشعري ودراستها وتعليلها وتأويلها ثم إعادة تركيبها في سياق الواقع والبيئة العلمية التي قيلت فيها، ثم تقويمها في ضوء الأصول المعرفية والمنهجية الكلية التي ارتضاها الأشعري لنفسه؛ ليصل من خلال ذلك كله إلى الخصائص العامة للفكر الأصولي عنده.

الدراسات السابقة:

إن الناظر في الأبحاث والدراسات التي تناولت موضوع أصول الفقه ومسائله عند الأشعري يجد أنها محدودة شكلاً وموضوعاً؛ ولعل السبب في ذلك ما ذكرنا من عدم وصول التراث الأصولي الذي خطه الأشعري بيده إلينا. وما توفر لدينا من دراسات أصولية للأشعري لا تعدو أن تكون تجميعاً لبعض آرائه وأقواله الأصولية، وهذه إما أن تكون على سبيل العرض والتحليل الأولي لآراء الأشعري في بعض أمهات المسائل الأصولية دون استقصائها كلها ولا تتبع تفاصيلها، وإما أن تكون على سبيل المقارنة بين الأشعري وغيره من أئمة الأصول دون تحليل وتركيب للآراء والأقوال المنسوبة إليه. ونوع آخر من الدراسات تناول الأشعري في سياق الحديث عن المدرسة الأشعرية بشكل عام دون تخصيص للأشعري بالبحث والدراسة والبيان لفكره ومنهجه وخاصة في أصول الفقه، ونوع أخير من هذه الدراسات وهو الذي يتحدث عن موضوع واحد بعينه من مواضيع الأصول عند الأشعري. ومن الأبحاث والدراسات التي تسنى لي الاطلاع عليها ما يلي:

كتاب **مذهب الأشعري (La Doctrine D'al-Ash'ari)**: وهو للمستشرق الفرنسي دانيال جيماريه⁶: وهذا الكتاب من أشمل الدراسات التي تناولت الأشعري بالبحث والدراسة، حيث تناول فيه الكاتب عدة جوانب من فكر الأشعري، ركز فيها على الجانب الكلامي عنده، وتعرض في المباحث النهائية من كتابه إلى جوانب من الفكر التشريعي عند الأشعري، وناقش مجموعة من آرائه الفقهية والأصولية وحللها. وقد اعتمد في كتابه على مجموعة كبيرة من المصادر التي أوردت ونقلت آراء الأشعري في مختلف الجوانب، ولا سيما مؤلفات

⁶Daniel Gimaret. (1990). *La Doctrine d'al-Ash'ari*, Paris: Les Editions du Cerf .

الأشعري نفسه، ولم يقتصر على كتاب "مجرد المقالات" حيث اعتبره جيماريه ليس كافياً للتحديث عن الأشعري في شتى الجوانب، وقد قام كذلك بالمطابقة التامة بين الآراء التي يوردها هو عن الأشعري وبين الآراء التي ترد في كتاب "اللمع"، أو تلك التي ينقلها أبو منصور البغدادي، وإمام الحرمين الجويني، وأبو القاسم الأنصاري وغيرهم من علماء الأشعرية. ومع هذا الجهد الذي قدمه جيماريه في كتابه إلا أن دراسته لم تتناول سوى الندر اليسير من المباحث الأصولية عند الأشعري، كذلك فقد فاتته في العديد من المواضع التي تعرض لها نصوص مهمة من كتب الأشعري الكلامية التي بين أيدينا. ويبقى جانب الفكر الأصولي عند الأشعري بحاجة إلى دراسة أشمل وأوسع، وهذا ما عمل الباحث على تحقيقه قدر المستطاع في هذه الدراسة.

الخطاب الأشعري: مساهمة في دراسة العقل العربي الإسلامي: لسعيد بنسعيد العلوي^٧: وقد حاول "الإبانة عن مكونات الخطاب الأشعري في عصره الكلاسيكي، والكشف عن الآليات المعرفية التي تحكم هذا الخطاب وتوجهه في تعبيراته الكبرى والرئيسة: الكلامية، والأصولية، والأخلاقية، والسياسية"^٨. وقد قسم هذه الأطروحة إلى قسمين، جعل الأول منها في تأصيل الأصول، والثاني في توظيف الفروع. وجعل في كل قسم من هذين القسمين مجموعة من الفصول، تصل مجموعها إلى تسعة فصول، بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة. والذي يهمننا في هذه الدراسة هو الفصل الخامس والسادس، حيث تكلم في الخامس عن البيان والتبين، وفي السادس عن الاجتهاد والتعليل.

ومما يلاحظ على هذه الدراسة أنّ الكاتب تناول فيها المنظومة الأشعرية بشكل عام، مما أدى إلى عدم إعطاء صورة واضحة ومفصلة عن منهج الأشعري وفكره وخاصة في مجال علم الأصول، مما أدى إلى تغييب شخصية الأشعري الأصولية في ثنايا الحديث عن سمات الخطاب الأصولي عند تلاميذه وأتباع مذهبه. هذا بالإضافة إلى ما قدمه محمد كمال إمام أثناء تناوله لهذه الأطروحة حيث قال: "أما الأستاذ سعيد بنسعيد العلوي فيقدم لنا في

^٧ سعيد بنسعيد العلوي، الخطاب الأشعري: مساهمة في دراسة العقل العربي الإسلامي (بيروت: دار المنتخب العربي، ط ١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

^٨ المرجع نفسه، ص ٧.